الخـــوف مـــن الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفـــى أثـــرهم، وســـار علـــى دربهـــم إلـــى يـــوم الـــدين، أما بعد:

إن الإسلام يولي المسلم اهتماماً شاملاً نابعاً من نظرة شاملة تتناول القـــوى المختلفة في النفس الإنسانية، وتقدم لها من التوجيهات ما يساعدها على الســـير بالإنسان في طريق مستقيم متوازن لا يطغى فيه جانب على الآخر، وهذه القوى التي تناولها الإسلام بالتوجيه والاهتمام هي القوة الروحية الأخلاقيـــة، والقـــوة العقلية والفكرية، والقوة البدنية، وأول ما ركز الإسلام عليه هو القوة الروحيـــة؛ لأن النفس إن سلمت طواياها ونظفت حناياها، سارعت إلى جلب الخير للإنسان، وتفانت في تقديم العون له، لأنّها ترى في ذلك العمل رضى الله سبحانه والفوز بمحبته.

والإسلام بنى تربية المسلم على الإيمان بالله ثـــم الخـــوف مـــن يـــوم الحساب، فإنّ المؤمن دائماً خائف من الله عزّ وجلّ، ولهذا تستقيم أخلاقه ويستقيم سلوكه، لذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر المؤمنين دائماً ويخوّفهم، ويغرس مهابة الله في قلوبهم، فيقول: (إنَّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجـــل

يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه لا يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وهو أهونهم عذاباً)[1].

ويقول أيضاً: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه)[2].

والخوف من الله تعالى سمة المؤمنين، وآية المتقين، وخوف الله تعالى في الدنيا طريقٌ للأمن في الآخرة، وسببٌ للسعادة في الدارين، ودليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصفاء القلب، وطهارة النفس ، والله تعالى يريد لعباده أن يعرفوه ويخشوه ويخافوه، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ }**[3].

إن الله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين الذين تملأ خشية الله عز وجل قلوبهم، وتغمر مهابة الله وجلاله نفوسهم، يفعلون الخير الكثير، ولكنّهم لا يغترون ولا يأمنون عذاب الله عز وجل، فيقول عز وجل: **{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ}**[4].

إنّ الخوف من الله سبحانه والهيبة من سلطانه يتناسب طردياً مع قوة الإيمان بالله، فكلّما قوي الإيمان قوي الخوف من الله، وكلّما ضعف الإيمان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ١٩٦/١

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة٤/ ٦١٢

(٣) سورة لقمان ، الآية (٣٢)

(٤) سورة المؤمنون الآية ، الآية (٥٧)

ضعف معه الخوف من الله، لذلك نجد الأنبياء والرسل الكرام هم أشد الناس خوفاً، ويليهم في ذلك المؤمنون الصادقون .

* فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان أشدَّ الناس خوفاً من الله، فيقول: (والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له)[1].

* وهذا أبو بكر الصديق: ثاني اثنين إذ هما في الغار الذي لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه على إيمان الأمة، يقول: (لو علمت أنه لن يدخل النار إلا رجل واحد لخفت أن أكون ذلك الرجل).

ويقول أيضاً: (لو كانت إحدى قدمي في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله).

* وهذا عمر بن الخطاب: رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين الذي ملأ الأرض عدلاً كان يقول: (ويل لعمر إن لم يغفر له)، وكان يلقى الصبي الصغير يأخذ بيده، ويقول: (يا بنيَّ ادع الله لي، فإنّك لم تخطئ بعد).

* وهذا الإمام الشافعي: الذي قضى حياته كلها في خدمة العلم والدين نجده يقشعرّ من الخوف ويقول: (والله لا أدري أتصير روحي إلى الجنّة فأهنيها أم إلى النار فأعزّيها).

أما نحن اليوم فإنَّ الواحد منا يعيش حياته بدون نظام، ويفعل ما يفعل من المنكرات، وتجده مقصراً في حقوق الله ومع ذلك فهو آمن مطمئن.

شخص لايصلي، ولايزكي، ويتعامل بالربا، تقول له: هل أنت خائف من الله؟ يقول لك: وماذا فعلت حتى أخاف؟ ضعف الإيمان هو السبب في ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ١٠٤/٩

{ **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**}[1]، والمؤمن الصادق يستعظم الخطايا حتى ولو لم تقع منه.

فبعض المفكرين في عصرنا الحاضر ظنّوا أنهم يمكن أن يستعيضوا عن غرس الإيمان في النفوس وترهيبها من عذاب الله وذلك بتنظيم القوانين، لكنّهم لم يفلحوا ، وكانت النتيجة أن الجرائم تزداد كلَّ يوم.

أما الإسلام الذي غرس الإيمان في النّفوس فقد عاش مواطنوه آمنين مطمئنين في سلام وأمان، ففي خلال ثلاثة قرون وقعت ست سرقات فقط بمعدل سرقة كل خمسين سنة، حدث ذلك في بلاد الإسلام من الصين شرقاً إلى أسبانيا غرباً، وصدق الله العظيم: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}**[2].

فالله عزّ وجلّ يدخل الخائفين جنات تجري من تحتها الأنهار ولا يجمع عليهم خوفين حيث يقول عليه السلام فيما يرويه عن ربه: (وعزّتي وجلالي: لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، إن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)[3].

وجاءت آيات القرآن الكريم تتلألأ بهذا المعنى، حيث يقول عزّ وجلّ: **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**" [4]، ويقول: **{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}** [5]، ويقول: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ**

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (٩٩)

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٩)

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٠٦/٢ رقم ٦٤٠

(٤) سورة الرحمن ، الآية (٤٦)

(٥) سورة الملك ، الآية (١٢)

الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[1]، ويقول: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}**[2].

إنَّ الخوف من الله سبيل النجاح في الدنيا والآخرة ، فاحرص على أن تكون خائفاً من الله، وأن تربي أولادك وبناتك على ذلك، فإذا فعل ولدك شيئاً محرّماً فذكّره بالخوف، وبالنّار، وبأنّ الله مطّلع على كل شيء ولا تخفى عليه خافية، عندئذ يصبح ذلك سلوكاً له، لأنّ من أدّب ولده صغيراً سرّ به كبيراً، أما إذا تركناهم هكذا بدون عناية وتوجيه فستكون النتيجة مدمرة وقاسية ورحم الله القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

فأولادنا هم فلذات أكبادنا وسند سواعدنا وهم رجال الغد، ومن شب على شيء شاب عليه، وعلينا أن نربيهم على طاعة الله، والبعد عن طرق الغواية والضلال.

إن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا يا رب العالمين

---

(١) سورة النازعات ، الآيتان (٤٠-٤١)

(٢) سورة البينة ، الآيتان (٧-٨)

القدس، وحرمة دم المسلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}**(١).

يقول ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: **(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا** .... الآية)، هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، وموجب قتل العمد، القصاص في الدنيا ووعيد في الآخرة. فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)(٢)، وفي حديث آخر: (ولزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم)(٣)، وإذا تمالأ جماعة على قتل مسلم عدوانا اقتصّ منهم لما روي أن عمر رضي الله عنه قتل خمسة أو سبعة بفرد واحد قتلوه غيلة، وقال عمر: (لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم).

---

(١) سورة النساء ، الآية (٩٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات ١٨٧/١٢

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الديات ١٦/٤

إذاً أربع عقوبات عظيمة جازى بها الله سبحانه من قتل مؤمنا متعمدا بغير حقٍّ، كل واحدة منها توجل القلب وتفزع النفس: **(جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا)**، ومن يستطيع أن يصبر على نار جهنم؟!، **(وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ)**، وبئسما حصل لنفسه من غضب الرب العظيم عليه، **(وَلَعَنَهُ)** فطرده وأبعده عن رحمته، **(وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)**، ويل لقاتل المؤمن المتعمد، ويل له من هذه العقوبات، النار، وغضب الجبار، واللعنة، والعذاب العظيم.

هكذا حرمةُ دماء المسلمين، وهذه عقوبة من سفك دم مسلم بغير حقٍّ. إذاً فإغلاق كل السبل المفضية إلى هذه الجريمة وجعل الحواجز التي تمنع المسلم من الوقوع في هذه الجريمة النكراء أمرٌ مطلوب شرعاً، ولهذا نبيّنا – صلى الله عليه وسلم – قال لنا: (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح)، نهى أن تشير عليه بالسلاح، كنت مازحاً أو كنت جاداً، لا تشر عليه بالسلاح وتشهره في وجهه، لترعبه وتخيفه، ولو كنت مازحاً. والسبب: لعلَّ الشيطان ينزغ في يديك، فيقع أمر محذور، فلعلَّ هذا السلاح يصوَّب إلى أخيك فيقتله، فتقع في حفرة من حفر النار بقتلك ذلك المسلم بغير حق.

إذا كانت الإشارة بالسلاح منهياً عنها، فكيف بالقتل؟!

إن رسولنا – صلى الله عليه وسلم – يقول: (لعن المسلم كقتله)[1]، فكيف بقتله عمداً ظلماً؟ حيث بين الله عز وجل الغضب الشديد الذي يلحق بالقاتل جزاء فعلته الشنيعة: **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}**، وقد رسم الإسلام الخطوط العريضة لسلامة الإنسان وكرامته وعدم الاعتداء عليه، وقتله فقال –عليه الصلاة السلام–: (لا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ٤٦٥/١٠

يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[1].

ومن الأمور المؤسفة في هذه الأيام أن كرامة الإنسان قد ديست، وأن الاعتداء على حياته أصبح سهلاً وهيناً.

وهذا كله يخالف تعاليم الإسلام التي تنصُّ على الحلم والعفو والصبر، وحرمة الإنسان المسلم، فتسمع عن حوادث القتل بين المسلمين أبناء الشعب الواحد، ويُقتل الرجال ويُيتم الأطفال، وتُرمل النساء، و تُخرب البيوت، وتُصاب الأمة بحالة من الذعر.

بم يجيب القاتل يوم يأخذ المقتول بتلابيبه بين يدي رب العالمين؟ يقول: يا ربّ، سل هذا لم قتلني؟ ويتم أطفالي؟ وخرب بيتي؟ وهدم سعادتي؟ وأدخل الحزن على أهلي؟

إن ديننا الإسلامي الحنيف يفرض علينا نحن الفلسطينيين أن نتحد، ونجتمع: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا}**[2].

لقد حزن شعبنا الفلسطيني عندما شاهد أبناءه يتقاتلون، كما حزن أشقاؤنا في الأمتين العربية والإسلامية؛ لأن الشعب الفلسطيني هو الذي علم الآخرين الوحدة، والحب، ورص الصفوف.

لقد ساءنا أن الأمر قد تجاوز كل الخطوط الحمراء بين الأخ وأخيه.

أين نحن؟ من قوله تعالى: **{أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات ٢٠١/١٢

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٣٠)

(٣) سورة المائدة ، الآية (٣٢)

وأين نحن؟ من قوله عليه السلام:(إن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا)[١].

أين نحن؟ من قوله عليه السلام: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه)[٢]،أي لا يظلمه، ولا يتركه يظلم، ويهان دون أن يقدم له المساعدة.

إن نفس الإنسان عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، فزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حقٍّ، زوال الدنيا كلها ... لأن الله هو الذي خلق هذا الإنسان، فلا يملك مخلوق أن يهدمه، لا يملك أحد أن ينتزع روحه إلا الذي وهبها له، في الوقت الذي حدده له.

لا يجوز لإنسان أن يتعدى على حقٍّ الله تبارك وتعالى، ويقتل الإنسان بغير حقٍّ، فكيف يقوم الفلسطيني بقتل أخيه الفلسطيني؟!!

ماذا نقول للشهداء؟!

ماذا نقول للأسرى الأبطال؟!

ماذا نقول للجرحى والمصابين؟!

ماذا نقول لأحبائنا في العالم أجمع؟!

لننظر ماذا يحدث لمدينة القدس الحبيبة!!

فها هي بلدية القدس تقرر بناء (٢٠,٠٠٠) عشرين ألف وحدة سكنية استيطانية جديدة في القدس، وها هي الحفريات مستمرة في محيط المسجد الأقصى المبارك لفرض واقع جديد، وها هي الجرائم الإسرائيلية تحدث يومياً من قتل وتشريد واعتقال وغير ذلك، وها هم آلاف الأسرى ينتظرون ساعة الخلاص، ليتنفسوا نسائم الحرية، وليساهموا في بناء هذا الوطن كما ساهموا في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم ١٥٨/١

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١٠)

الدفاع عنه، وها هم اللاجئون ينتظرون ساعة العودة ونتساءل: أما آن للمهاجر أن يعود؟! ويسألونك متى هو؟! قل عسى أن يكون قريباً.

إنَّ سرَّ قوة شعبنا في وحدته، وإن ضعفنا في فرقتنا وتخاذلنا، فعلينا أن نجمع شملنا، وأن نوحد كلمتنا، وأن نرصَّ صفوفنا خصوصاً في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ شعبنا، فلننظر إلى ما يتعرض إليه شعبنا، ومقدساتنا عامة والمسجد الأقصى خاصة، صباح مساء على أيدي المحتلين، وما يحدث لأبناء شعبنا الفلسطيني على أرض العراق من قتل وخطف وغير ذلك.

فالواجب على أبناء شعبنا أن يكونوا إخوة متحابين، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما قال العلماء: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)، وإن الواجب على الجميع أن يتخلقوا بالأخلاق القرآنية.

ففي ظل التعاليم القرآنية والسنة النبوية الشريفة عاشت البشرية حياة الخير والسعادة: **{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}**[1].

نسأل الله العلي القدير أن تنقشع الغمة التي خيمت على بلادنا في الأيام الماضية، وأن يسود الحب والوئام والأخوة بين أبناء شعبنا الفلسطيني المرابط، ليتسنى لنا جميعاً أن نتصدى للهجمة الإجرامية على المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبيِّهم محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولنعمل معاً وسوياً على إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله، وخروج الأسرى والمعتقلين من سجون الاحتلال، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إن شاء الله ... اللهم آمين يا رب العالمين.

---

(١) سورة طه ، الآية (١٢٣)

لكم الله أيها الفلسطينيون

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ذي الأصابع، قال: قلت: يا رسول الله إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: "عليك ببيت المقدس فلعله أن يُنشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون)[١].

الرسول عليه الصلاة والسلام يرشدنا في هذا الحديث إلى أن فلسطين هي المسكن الصالح عندما تشتد الفتن، وتكثر المصائب، وتدلهُم الخطوب، كما أثنى عليه الصلاة والسلام على من يسكنون في فلسطين الأرض المباركة الطيبة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "لا تزال طائفةٌ من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلاّ ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله، وهم كذلك، قالوا: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[٢].

مما سبق نتعرف على فضل بلاد الشام عامة ، وفلسطين خاصة، حيث بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام بأن الخير سيبقى في هذه الأمة، كما أثنى على المسلمين المقيمين في بيت المقدس، وأن منهم الطائفة المنصورة إن شاء الله،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦٧/٤

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٩/٥

فبيت المقدس سيبقى إن شاء الله حصناً للإسلام إلى يوم القيامة على الرغم من المحن التي تعصف بالأمة.

وعندما ننظر إلى الأراضي الفلسطينية، فإننا نرى بأن الاعتداءات الإسرائيلية ما زالت متواصلة على شعبنا الفلسطيني في هذه الأيام من جنين إلي رفح، فخلال الأيام الماضية وصل عدد الشهداء إلى العشرات وأكثر من مائة جريح في قطاع غزة فقط، كما سقط شهداء في المحافظات الشمالية ، ناهيك عن الاعتقالات صباح مساء، ومداهمة الإذاعات، وإغلاق المؤسسات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن إسرائيل بعدوانها الواسع ضد الشعب الفلسطيني تؤكد للجميع أنها لا تفرق بين المواطنين، رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا، صغارا وكبارا، كما أنها لا تفرق بين فصيل وفصيل، فالعدوان يستهدف تدمير البيوت والمؤسسات، وتجريف المزروعات ، وفرض الحصار الشامل على الشعب الفلسطيني، ناهيك عن معاناة الأسرى والأسيرات في السجون الإسرائيلية ومنع ذويهم من زياراتهم، إلى الاعتداءات على المقدسات في القدس والخليل وشمال الضفة وسائر الوطن، ولا يقف الأمر بالنسبة لشعبنا الفلسطيني المرابط عند هذا الحد بل يتعداه إلى لبنان.

فما حدث في مخيم نهر البارد في الأيام الماضية من حصار واقتتال تسبب في سقوط عشرات الشهداء ومئات الجرحى من أبناء الشعب الفلسطيني في المخيم، وتدمير عددٍ من بيوتهم المتواضعة، ونزوح الآلاف من المخيم كي ينجوا بأنفسهم وأهليهم من هذا القصف المدمر.

هذا هو الفلسطيني يعيش من نكبة إلى نكبة، ومن مصيبة إلى مصيبة

جديدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن الابتلاء أمر حتمي في حياة الدعاة، وفي تاريخ الأمم والشعوب، ليميز الله الخبيث من الطيب، تلك سنّة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

والإنسان الذي يعمر الإيمان قلبه يلجأ إلى الله دائماً في السرّاء والضرّاء، يشكره على نعمائه، ويسأله العون وتفريج الكروب فهو على كل شيء قدير؛ لأن ثقته بالله عظيمة، فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر،وأما غير المؤمن فيضعف أمام الشدائد، فقد ينتحر، أو ييأس، أو تنهار قواه، ويفقد الأمل لأنه يفتقر إلى النزعة الإيمانية، وإلى اليقين بالله.

إن وحدة شعبنا، وتمسكه بدينه، وكذلك وحدة أمتنا العربية والإسلامية كفيلة بإفشال جميع المخططات التي تستهدف شعبنا و أمتنا.

فشعبنا الفلسطيني الآن يمرُّ بمرحلة دقيقة من تاريخه تحتاج منا إلى الوحدة، ورصّ الصفوف، وجمع الشمل، والبعد عن الأحقاد والاختلاف: (لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[1].

إذا لم يتحد الناس عند الشدة ، فمتى يتحدون ....؟!

ألم يقل الشاعر: إن المصائب يجمعن المصابينا؟! كما أن الشدائد تجمع المتفرقين، و تؤلف بين المتخاصمين .. أما آن لنا أن ندرك ذلك..؟!

إنَّ ديننا الإسلامي الحنيف يفرض علينا نحن الفلسطينيين أن نتحد ، ونجتمع: **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)**[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الخصومات ٥/٧٠

(٢) سورة عمران ، الآية (١٠٣)

وفي ظلِّ الظروف الصعبة التي يتعرّض لها شعبنا الفلسطيني، فإننا نتضرع إلى الله بالدعاء أن يحفظ شعبنا ومقدساتنا من كل سوء، وأن يحميها من كيد الكائدين وطمع الطامعين، وأن يجمع شمل شعبنا، ويوحد كلمته على الحق والهدى، وأن يجعل لنا من هذا الضيق مخرجاً، إنه سميع قريب.

ونتوجه ثانياً إلى أمتنا العربية والإسلامية، نخاطب ضميرها الحي، وهي عمقنا العربي والإسلامي الذي نفتخر به، ونعتزُّ أن تقف مع شعبنا وقفة الأخ مع أخيه، فنحن أخوة: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**}(١)، ويقول الرسول -عليه الصلاة السلام -:(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)(٢).

إن الهجمة الشرسة التي يتعرض لها شعبنا لا تخفى على أحد، فالفضائيات ووسائل الإعلام تبث الصور الحية لذلك، نحن لا ننكر وقفات الإخوة العرب والمسلمين معنا، ونشكرهم على ذلك، لكنّ الأمر جدٌّ خطير، فلا بد لهم أن يقفوا أمام مسؤولياتهم ومع إخوانهم الفلسطينيين لتوفير لقمة عيش كريمة لهم، والضغط على المجتمع الدولي لتوفير الحماية لشعبنا المرابط والمساعدة في بناء ما يدمره المحتلون.

كما نتوجه ثالثاً إلى الشعب اللبناني الشقيق بعلمائه، وقادته ورجاله، هذا الشعب الكريم نقول لهم: إن إخوانكم الفلسطينيين الذين يقيمون على أرض لبنان هم أشقاؤكم، فلبنان وفلسطين تجمعهما ظروف مشتركة، ولطالما وقف اللبنانيون مع أشقائهم في فلسطين، ولطالما دفع اللبنانيون ضريبة كبيرة من أبنائهم واقتصادهم، نتيجة لاحتضانهم ودعمهم وحبهم لأشقائهم الفلسطينيين عبر

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (١٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة ٥٦٥/١

السنوات الماضية، فنوصيكم بإخوانكم أهل الرباط، أهل فلسطين، المقيمين على أرض لبنان والمحرومين من العودة لوطنهم فلسطين خيراً، والله يحفظ لبنان وشعب لبنان من كل سوء.

ورابعاً نتوجه إلى أبناء شعبنا المرابط، ونقول لهم: إن المصائب يجمعن المصابينا، فمزيداً من الوحدة، والتلاحم والتكاتف، والتكافل، ورصّ الصفوف وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة ولنكن إخوة متحابين، فليس لنا خيار غير ذلك.

والله الهادي إلى سواء السبيل

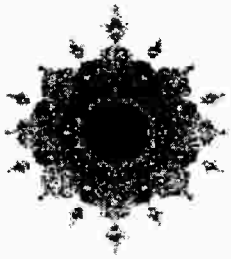

{وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

يتعرض الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين الطاهرة لسياسة الاغتيالات والاعتقالات والتدمير التي لم يسلم منها أحد، كما يتعرض شعبنا على أرض لبنان إلى سياسة الحصار والقتل والتدمير، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

ونحن في هذه الأيام بحاجة إلى وقفة تأمُّل، ننظر فيها إلى حاضر العالم الإسلامي، كي نلتقط العبر والعظات، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لأخذ العبر والعظات.

لقد اقتضت إرادته سبحانه وتعالى أن يختبر المؤمنين، ليميز الله الخبيث من الطيّب، وليظهر الحقَّ من الضلال، تلك سنَّة الله، ولن تجد لسنّة الله تبديلا، بعض النّاس -وللأسف- يتصورون أن الابتلاء الإلهي هو غضب من الله، وهذا تصوّر خاطئ لما ورد في الحديث :"أيّ الناس أشدُّ بلاء يا رسول الله؟ فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان رقيق الدين

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٨٦)

ابتلي حسب ذاك، وإن كان صلب الدين ابتلي على حسب ذاك، فما تزال البلايا بالرجل حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"[1].

فعند دراسة السيرة النبوية نلاحظ أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– عندما بدأ بتبليغ الرسالة واجه المشاقّ والمتاعب، وواجه المقاطعة، وجميع أشكال الأذى والتعذيب، ومع ذلك صبر، وسلّم الأمر لصاحب الأمر، فما هي إلا فترة وجيزة، وإذا بالضيق ينقلب فرجاً والعسر يسرا، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ومن خلال دراسة التاريخ الإسلامي من مصادره الموثوقة نلاحظ أن الخط البياني للتاريخ الإسلامي متعرج، ينخفض انخفاضاً شديداً، ويرتفع ارتفاعاً شديداً، ويعلو ويهبط وفق القانون الإلهي:**{وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}** [2].

لقد هبط أمر المسلمين في قرون مضت حتى اغتصب الحجر الأسود، أخذه القرامطة قسراً، وظل عندهم نحو ربع قرن، فما عاد إلا بعد لأي.

وهبط مستوى التاريخ الإسلامي إلى الحضيض، يوم دخل التتار بغداد وقتلوا الخليفة وأذلوا الأمة الإسلامية أشدَّ الذل، ولكنَّ هذا التاريخ الذي هبط سرعان ما علا وارتفع، فما مضى قرن حتى كان المسلمون يدقون أسوار فينا –عاصمة النمسا– ثم قبل ذلك وصلوا مخترقين الأندلس إلى جنوب فرنسا إلى أواسط سويسرا.

هذا التاريخ الذي يتأرجح بين مدٍّ وجزر حقيقة لا بد من الاعتراف بها.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد ٤/٦٠١-٦٠٢

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٤٠)

فحدوث بعض المصائب في هذه الأيام أمر لا يدعو المسلم إلى اليأس، والاعتراض على إرادة الله بل لا بد أن يصبر، فالصبر نصف الإيمان.

إن القنوط واليأس أمر يفتك بالأمم، من هنا حارب الإسلام ذلك وأوجد البديل، حارب اليأس وأوجد الأمل، وحارب التشاؤم وأوجد التفاؤل.

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متفائلاً في جميع أحواله، فيوم اجتمع أعداء الإسلام من كل حدب وصوب لمحاربته في غزوة الخندق، كان الرسول والمسلمون في حالة صعبة، كما وصفهم القرآن الكريم :**{إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا*هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا}**(١).

ومع ذلك كان الرسول متفائلاً بنصر الله، وبشَّر الصحابة بأن نصر الله آتٍ، فعندما اعترضتهم صخرة صلدة أثناء حفرهم للخندق ضربها بفأسه، وإذ بثلاث شرارات تتطاير، فقال– صلى الله عليه وسلم –: " أبشروا أما الأولى فقد أضاء الله لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأما الثانية فقد أضاء الله لي منها قصور الروم، وأما الثالثة فقد أضاء الله لي منها قصور صنعاء، فإن الإسلام بالغ ذلك لا محالة".

وهذا التفاؤل بنصر الله كان مرافقاً للرسول – صلى الله عليه وسلم – في حلِّه وترحاله، ألم يقل – صلى الله عليه وسلم – لسراقة بن مالك؟ يوم أن لحقه وهو مهاجر من مكة إلى المدينة يريد أن يظفر بجائزة قريش لمن أتى بالرسول عليه السلام حيّاً أو ميّتاً، يا سراقة ، عد وإنني أعدك بسواري كسرى.

من كان يتصور أن الاتحاد السوفيتي سيتفكك، وأن حلف وارسو سيزول.

---

(١) سورة الحجرات ، الآيتان (١٠-١١)

إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أمراً فإنَّما يقول له كن فيكون.

وإن القرآن الكريم يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[1]، فالعسر جاء معرفا، والمعرفة إذا كررت كانت عين الأولى، واليسر جاء منكراً، والنكرة إذا كررت كانت غير الأولى، فلن يغلب عسر يسرين.

فالمؤمن يجب أن يكون متفائلاً بفرج الله، كما ورد عن تميم الداري، قال:سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (ليبلغنَّ هذا الأمر "يعني أمر الإسلام" ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز، أو بذلِّ ذليل، عزّاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)[2].

وكلمة ما بلغ الليل والنهار في هذا الحديث الرائع كلّمة جامعة من خصائص البلاغة المحمدية، ولا أرى نظيراً لها في الدلالة على السعة والانتشار.

فعلينا أن نكون متفائلين، وأن نثق بفرج الله، وأن نوكل الأمر لصاحب الأمر، فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر، وإن الفجر آتٍ بإذن الله، رغم المشككين، رغم الحاقدين.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً، وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت، وكنت أظنّها لا تفرج

إن شعبنا الفلسطيني أحوج ما يكون إلى الوحدة والمحبة، والتكاتف والتعاضد، ورصّ الصفوف، وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة خصوصاً في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة في هذا الوقت العصيب.

---

(١) سورة الشرح ، الآيتان (٥-٦)

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١٠٣/٤

فالواجب على أبناء الأمة أن يكونوا إخوة متحابين، وأن يتعاونوا على البرّ والتقوى، كما قال العلماء: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)، وإنَّ الواجب علينا أن نتخلق بالأخلاق القرآنية.

ففي ظل التعاليم القرآنية والسنّة النبويّة الشريفة عاشت البشرية حياة الخير والسعادة: { **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**}[1].

أما آن لنا أن تخشع قلوبنا لذكر الله وسنة رسوله؟!

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**}[2].

اللهم اجمع شملنا، ووحّد كلمتنا، وألّف بين قلوبنا، وأزل الغلّ من صدورنا بكرمك وفضلك يا أكرم الأكرمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

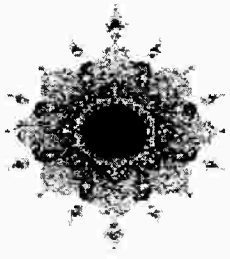

(١) سورة طه ، الآية (١٢٣)

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٤)

العلم، وطلاب الثانوية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

يتوجّه عشرات الآلاف من أبنائنا الطلاب والطالبات يوم الإثنين القادم إن شاء الله إلى قاعات الامتحانات المنتشرة في ربوع الوطن، وحيث إنّ أبناءنا أغلى ما نملك بعد نعمة الإسلام، كما قال الشاعر:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

وامتحان الثانوية العامة يحدد مصير الطالب، وماذا يخطط لمستقبله ..إلخ .

إن ديننا الإسلامي الحنيف يحثُّ على العلم ويقدِّر العلماء ويضعهم في المرتبة العالية، ومما يدل على عناية الإسلام بالعلم أن أول آيات نزلت من القرآن الكريم كانت تتحدث عن العلم: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**}(١).

والإسلام لم يجعل للعلم سنّاً معينة فهو من المهد إلى اللحد ولا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإذا ظنّ أنّه قد علم فقد جهل، والعلم بدون تقوى لا يساوي شيئاً، ورحم الله القائل:

ولو كان للعلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس

---

(١) سورة العلق ، الآية (١)

لذلك فإن الإسلام يحث على العلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[1]، ولفظ مسلم في الحديث يشمل الذكر والأنثى، كما يجب ألا يقف الفقر أو بعض العوائق حائلاً دون التعليم، فالعلم بحاجة إلى التضحية والصبر على نوائب الدهر حتى يحصل الإنسان بجده واجتهاده على ما يصبو إليه.

- فالقاضي أبو يوسف كان فقيراً فأصبح قاضي القضاة في عصر هارون الرشيد.

- أبو تمام كان يسقي الماء في مسجد بني أمية ثم أصبح شاعراً كبيراً وأديباً.

- والجاحظ كان يبيع السمك ثم أصبح أديباً كبيراً.

- الإمام الغزالي كان يتيماً فأصبح إماماً جليلاً.

وعند دراستنا لغزوة بدر في كتب السيرة نرى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد جعل فداء الأسير من المشركين تعليم عشرة من المسلمين كيفية القراءة والكتابة، لماذا؟ لأنّه بالعلم ينتصر الحق على الباطل، وينتصر المظلوم على الظالم، لأنّ العلم نور، والله نور السماوات والأرض. بالعلم تبنى الحضارات وبالعلم تتقدم الأمم وبالعلم ترقى المجتمعات، وقديماً قال الشاعر:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنّهمُ على الهدى لمن استهدى أدلاء

ففز بعلم تعش حياً به أبداً النّاس موتى وأهل العلم أحياء

إنني إذ أهنّئ الإخوة والأخوات الناجحين في امتحانات النقل للمرحلتين الإعدادية والثانوية لأتمنى لهم مستقبلاً مشرقاً بإذن الله، كما ونتمنى لأبنائنا

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب المقدمه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ /٨١ رقم الحديث ٢٢٤

وبناتنا الذين يستعدون لامتحانات الثانوية العامة (التوجيهي)، وكذلك طلاب وطالبات الجامعات الفلسطينية المختلفة التوفيق والنجاح، وأقول لهم: أنتم الآن على أبواب مرحلة جديدة تحتاج منكم إلى الجد والاجتهاد والمواظبة حتى يستطيع كل واحد منكم رسم مستقبله حسب قدراته ورغباته.

ومن فضل الله علينا أن بلادنا فلسطين موطن العلماء والأدباء منذ قرون طويلة، والآن توجد في بلادنا جامعات متعددة، ففي قطاع غزة توجد الجامعة الإسلامية وفيها كلية الهندسة، وجامعة الأزهر وفيها كلية الصيدلة ،وجامعة الأقصى، وجامعة القدس المفتوحة، وجامعة فلسطين الدولية، وكلية العلوم والتكنولوجيا، وفي الضفة توجد جامعة القدس وبها كلية الطب، وجامعة النجاح وجامعة بيرزيت وفيهما كليات متعددة وتمنحان الماجستير في عدد من التخصصات، وجامعة الخليل، وجامعة بيت لحم بالإضافة إلى جامعات وكليات متعددة.

فلنقبل على مقاعد الدراسة في وطننا الغالي، مع العلم أنّ الجامعات الأجنبية ليست أفضل من الجامعات المحلية، فالطالب المجد يكون عنواناً مشرقاً أينما كان.

لذلك يجب على الآباء وأولياء الأمور أن يشجِّعوا أبناءهم على الالتحاق بالجامعات المحلية.

أولاً نوفر النفقات المالية، وثانياً أنني أكون آمناً على ولدي أو ابنتي خوفاً من الانحلال والضياع، ثالثاً عندنا كفاءات علمية كثيرة، عندنا عدد هائل من حملة الدكتوراة في تخصصات عديدة، فلماذا عقدة الإفرنج أو الأجانب؟

أود القول بأن التعليم الجامعي عبارة عن مفتاح للعلم، وأن الطلاب تتفاوت

قدراتهم ومعلوماتهم حسب اجتهادهم وجدهم، فكم من طالب تخرج في جامعة عريقة لكنّه عاد خاوي الوفاض، لأنّه كما قال أحد الأساتذة الفضلاء، هناك من يحمل الشهادة وهناك من تحمله الشهادة.

إذاً لا بد من صنع الإنسان القوي في عقيدته، في أخلاقه، في أدبه، في علمه، لأننا نحتاج إلى هذا الإنسان الصالح الذي يساهم في بناء هذا الوطن.

إنّ شعبنا والحمد لله بخير، وإن عدداً كبيراً من أبنائنا الفلسطينيين الذين يقيمون خارج الحدود تحولوا للدراسة في الجامعات المحلية، نظراً لكثرة المصاريف والأعباء الملقاة على أولياء الأمور، ونظراً إلى أنّ هذا الابن الذي غاب طويلاً عن وطنه ومسقط رأسه اشتاق إلى أرض الآباء والأجداد، كي يشم نسيمها، وكي يتنفس هواءها، وكي يعيش على أرضها، وكي يصلي غداً إن شاء الله في مسجدها الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين.

بالعلم ترقى الأمم كما قلنا وتتقدم الشعوب، بالعلم ينتصر الحق على الباطل، والمظلوم على الظالم، لأنَّ العلم نور و الله نور السماوات والأرض.

وأما أنت أيها الطالب الذي لم يحالفك النجاح فلا تيأس، ولا تضعف، بل ابدأ من الآن الاستعداد لسنة جديدة بكل حيوية ونشاط، وإيّاك من اليأس فكم من طبيب، أو مهندس أو معلم ..إلخ لم يحالفه الحظ مرة أو أكثر، ولكنه جد واجتهد حتى كتب الله له النجاح والتوفيق.

فالإسلام حرّم اليأس وأوجد البديل وهو الأمل، الأمل في غد مشرق عزيز بجد الرجال وعزمهم واجتهادهم، بعد توكلهم على الله وأخذهم بالأسباب.

أملي أن نستجيب، والأيام تمر بسرعة، فهنيئاً لمن سخرها للخير والجد

والاجتهاد .

وألف تحية لمعلمينا المخلصين، وطلابنا المجدين، وأولياء الأمور الحريصين على مصلحة أبنائهم.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا يا رب العالمين

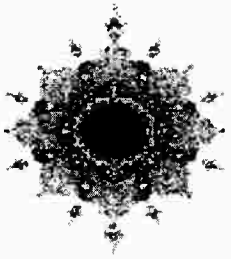

إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: {**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**}(١).

الإنسان هو سيد هذا الكون، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، فكل ما في الكون مسخّر لخدمة الإنسان، من هنا فالإسلام كعقيدة وشريعة ودستور ونظام حياة، يكرم الإنسان تكريماً عظيماً.

وهناك أدلّة كثيرة من الكتاب والسنّة تبيّن مدى اهتمام الإسلام بالإنسان، منها ما روي عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما–، قال: (رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسلم يطوف بالكعبة، ويقول: "ما أطيبك، وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده! لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه")(٢)، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: من أعان على قتل مؤمن

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٠)

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ١٢٩٧/٢

بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله" [1]، وزاد، قال سفيان بن عيينة: هو أن يقول: أُقْ، يعني لا يُتِمُّ كلمة أُقْتل.

كما حذر الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – من الاعتداء على الإنسان، فقال – صلى الله عليه وسلم –: (إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: "أيّ شهر هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننّا أنّه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس ذا الحجة؟" قلنا: بلى، قال: "فأيّ بلد هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننّا أنّه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس البلدة؟" والبلدة هي مكة البلد الحرام، قلنا: بلى، قال: "فأيّ يوم هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننّا أنّه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس يوم النحر؟" قلنا: بلى، قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعلّ بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه"، ثم قال: "ألا هل بلّغت؟" قلنا: نعم، قال: "اللهم اشهد")[2].

ويقول عليه السلام أيضا: (لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن، ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار)[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الديات ٨٧٤/٢

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ٢٩٣/٦

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الديات ١٦/٤

إن رسولنا – صلى الله عليه وسلم – يقول: (لعن المسلم كقتله)[1]، فكيف بقتله عمداً ظلماً؟ حيث بيّن الله عزّ وجلّ الغضب الشديد الذي يلحق بالقاتل جزاء فعلته الشنيعة: {**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**}[2]، وقد رسم الإسلام الخطوط العريضة لسلامة الإنسان وكرامته وعدم الاعتداء عليه وقتله، فقال عليه الصلاة السلام: (لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[3].

ومن الأمور المؤسفة في هذه الأيام أن كرامة الإنسان قد ديست، وأن الاعتداء على حياته أصبح سهلاً وهيناً.

وهذا كله يخالف تعاليم الإسلام التي تنص على الحلم والعفو والصبر، وحرمة الإنسان المسلم، فتسمع عن حوادث القتل بين المسلمين أبناء الشعب الواحد، ويُقتل الرجال ويُيتم الأطفال، وتُرمل النساء، و تُخرّب البيوت، وتُصاب الأمة بحالة من الذعر.

بم يجيب القاتل يوم يأخذ المقتول بتلابيبه بين يدي رب العالمين؟ يقول: يا ربِّ سل هذا: لم قتلني؟ ويتم أطفالي؟ وخرّب بيتي؟ وهدم سعادتي؟ وأدخل الحزن على أهلي؟

إن المجتمع في الإسلام، مجتمع يسوده الحب الخالص والود والصفاء، والتعاون والإيثار، لا مكان فيه للأنانية والأحقاد، والتدابر والتناحر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ٤٦٥/١٠

(٢) سورة النساء ، الآية (٩٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات ٢٠١/١٢

وعدونا الأول الشيطان – لعنه الله وأخزاه، وكفّ عنّا وعنكم أذاه – يعمل جاهداً لإفساد العلاقة بين المسلمين، ونشر الحقد والغل والبغضاء بينهم، لذلك حذّرنا عليه السلام من ذلك بقوله: (إنّ الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنّه لم ييأس من التحريش بينهم)[1].

إنَّ عدوَّ الله – إبليس – لا يرضى للمسلم أن يحب أخاه المسلم، فيعمل جاهداً من أجل إفساد العلاقات الأخوية ، كما قال عز وجل: {**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**}[2].

لقد حصل مرة بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن نشأت بين بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – مشادة كلامية سمع منها ارتفاع الصوت، فأخرجت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – يدها الطاهرة من الحجرة وأخذت تقول لهم: إن نبيكم يكره التفرق، ثم تلت عليهم قول الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**}[3]، وتعني أنّ الخصام أساس الفرقة، والفرقة أساس البلاء، ولله در القائل:

كونوا جميعاً يا بنيَّ إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفراداً
تأبي العصيُّ إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحاداً

لقد حث نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو الذي كرّس كل حياته لخلق مجتمع مترابط متعاضد سليم على أن يحبَّ المسلمون بعضهم بعضا، كما حثهم على ترك الغش والحقد والبغضاء، فقد روى أنس–رضي الله عنه–قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بنّي إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣/٣٥٤

(٢) سورة فاطر ، الآية (٦)

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٥٩)

قلبك غشٌّ لأحد فافعل! ثم قال: يا بنّي، وذلك من سنتّي، ومن أحبَّ سنّتي فقد أحبَّني، ومن أحبَّني كان معي في الجنة"[١].

وهل نخر مجتمعنا إلا ما في القلوب من غشٍّ وسواد؟! ولو شغلتنا تقوى الله، لكنّا أهدى سبيلا، وأقوم قيلا، إن قسوة القلب جزء من اللعنة التي أنزلها الله بأهل الكتاب، لما نقضوا مواثيقهم واتبعوا أهواءهم.

فالواجب علينا جميعاً أن نبتعد عن الحقد والغلِّ والحسد، وأن نتحابب، فالأمة العربية والإسلامية تنظر إلينا، وتراقب أحوالنا، فليكن شعارنا جميعاً قول رسولنا الأكرم- صلى الله عليه وسلم -: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢].

والله الهادي إلى سواء السبيل

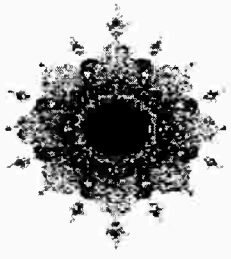

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم ٤٦/٥

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ١٩٩٩/٤

الإجازة الصيفية، وأهمية الوقت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من أجل هدف سامٍ هو عبادته سبحانه وتعالى، وطاعته، والسير على طريق الحق والخير: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**}(١)، إذاً فالواجب علينا أن نغتنم كل لحظة ودقيقة في كسب رضوان الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

إنَّ التاريخ لم يعرف أمَّة قدَّس دستورها الزمن، كأمتنا الإسلامية، التي حدَّثها الله سبحانه وتعالى دائماً عن نفسه، وعن خلقه بكل دقة.

* لقد حدَّث الله عن خلق السموات والأرض، فقال: {**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**}(٢).

* وحدَّث عن أمره وإرادته، فذكر أن ذلك يتمُّ في غير زمان: {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}(٣).

---

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٦)

(٢) سورة هود ، الآية (٧)

(٣) سورة يس ، الآية (٨٢)

* وحدَّث عن علمه بالخلق وأحوالهم، فبيَّن أنَّ ذلك يتناول أدق الأمور: **{اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ}**(١).

* وحدَّث عن تسجيل أعمال الخلائق، فبيَّن أنَّ ذلك يشمل القليل والكثير: **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا}**(٢).

* وحدَّث سبحانه عن حسابه للخلق، فذكر أن ذلك يتمُّ بميزان دقيق: **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}**(٣).

وإنَّ الرسول عليه السلام اغتنم كل لحظة من حياته، وعلَّم أصحابه ذلك، فما مضى قرن من الزمان حتى رأينا الرايات الإسلامية ترفرف فوق مساحات شاسعة من قارات العالم بفضل الله أولاً، ثم بجهدهم وعملهم وإخلاصهم.

إنَّ الأمم تستغل وقتها أحسن الاستغلال في الخير وفي المخترعات العلمية التي تعود بالخير على أبناء البشرية، وفي سبيل النهوض بحياة الأمم والشعوب.

إنَّ أجدادنا استغلوا أعمارهم في الخير، فكانوا العلماء النابغين الأفذاذ الذين طأطأ لهم الشرق والغرب الهامات إجلالاً واحتراماً في شتى المجالات، بينما نرى الأمة العربية والإسلامية في ذيل البشرية في العالم الثالث.

في أثناء قراءتنا وتدُّبرنا لآيات القرآن الكريم نجد حديثاً قرآنياً عن آلاء الله المبذولة لسكان الأرض كلهم، وعند تأملنا في هذه الخيرات المشاعة نجد أنَّ

---

(١) سورة الرعد ، الآية (٨)

(٢) سورة الكهف ، الآية (٤٩)

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٤٧)

التأخر العلمي والمادي قد قلَّل حظوظ المسلمين منها، وكأنّما خلــق الله الأرض لغيرهم!!

نقرأ قول الله تعالى: {**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُــودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِــنْ أَصْــوَافِهَا وَأَوْبَارِهَــا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَــذَلِكَ يُــتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**}(١).

هذا منٌّ على البشرية جمعاء بما أكرمهم الله به، وعند التأمل تجد أن نصيب المسلمين قليل من هذه النعم.

من الذي ينسج السرابيل التي تقي الحر والسرابيل التي تقي البأس؟

من الذي حوّل جلود الأنعام إلى حقائب؟

من الذي شاد المصانع الكبيرة لنسج الأصواف والأوبار والأشعار، ونقلهــا بالبواخر الضخمة إلى شتّى الأقطار؟

إنَّ الدول العربية والإسلامية زاخرة بنعم الله، من البترول والمال، والأيدي العاملة...إلخ.

ولو أنَّ الأمة استغلت طاقاتها في الخير لاســتفادت وأفــادت الآخــرين، وشجَّعت العلماء والمخترعين، وحلَّت مشاكل البطالة، وعاش الناس في رغد.

والفرد كذلك مطالب باستغلال الوقت في طاعة الله، فالصلوات موزعة على خمسة أوقات، والصوم، والحج، والزكاة، مقسمة على شــهور الســنة، ونحــن مسؤولون عن أعمارنا فلماذا نضيعها سدى هكذا؟!

---

(١) سورة النحل ، الآيتان (٨٠-٨١)

كم من إخواننا وأحبائنا يقضون أوقاتهم في اللهو، والمقاهي، ولعب النـرد، والغيبة، والنميمة، ومشاهدة الأفلام الهابطة والمسلسلات الهدامة، أما آن لهم أن يعودوا إلى رشدهم، ويتوبوا إلى ربهم!

إنك إن طالبت أحدهم بالصلاة، قال: غداً أبلغ من الكبـر عتيـا، وأتـوب وأصلي، ونسي قوله تعالى: **{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}**[1]، فأعمار الأمة الإسلامية ما بين الستين والسبعين والقليل من يتجاوز، وقديماً قال الشاعر:

إذا عـاش الفتـى ستين عامـاً فنصف العمر تمحقه الليالي

ونصف النصف يذهب ليس يدري لغفلته يمينـاً مع شمال

وباقي العمـر آمـال وحرص وشغل بالمكاسب والعيـال

إننا مسؤولون عن أعمارنا: "وعن عمره فيم أفناه"[2].

إننا مطالبون أفراداً وجماعات، ومؤسسات، ودولاً أن نتقي الله في أعمارنا، وأن نعلن الصلح مع الله، وأن نكثر من أفعال الخير، وننـأى بأنفسـنا وأهلينـا ومجتمعنا عن طريق الشر، عسى أن تدركنا رحمة الله.

وما دمنا لا ندري متى سنموت، فيجب علينا طاعة الله وتنفيذ أوامـره ورد الحقوق لأصحابها، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

اللهم اجعلنا من الطائعين العابدين

---

(١) سورة لقمان ، الآية (٣٤)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة٤/ ٦١٢